الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة03: التأثيرات الشرقية في ظهور للرواية

التأثير الشرقي في نشأة الرواية:

يعد التأثير الشرقي، ولا سيما العربي والفارسي والهندي، أحد الركائز الأساسية التي قامت عليها الرواية العالمية. ففي حين كانت أوروبا ترزح تحت صرامة الملاحم الكلاسيكية، جاءت الحكاية الشرقية لتكسر ذلك الجمود، مقدمةً مفهوم «اللذة السردية» وحرية تطويع الواقع عبر الخيال.

1 . الحكايات المتسلسلة (بنية «الإطار» والنمو العضوي):

لم تكن الحكاية الشرقية مجرد قصص متناثرة، بل اعتمدت تقنية «القصة الإطارية » (Frame Narrative)، حيث تولد قصة من رحم قصة أخرى.مهد هذا التداخل لفكرة «الرواية الطويلة» التي تحتمل مسارات ثانوية تثري المجرى الرئيسي، في بنية أشبه بالمتاهة التي تمنح القارئ شعوراً باللانهاية. يشير الناقد الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس إلى أن «ألف ليلة وليلة ليست مجرد كتاب، بل هي ظاهرة طبيعية؛ فقد علمتنا أن الحلم يمكن أن يكون حقيقة، وأن الحكي هو الوسيلة الوحيدة لتأجيل الموت».

2. تعدد الأصوات (البوليفونية):

قبل أن يضع ميخائيل باختين نظريته حول «تعدد الأصوات»، كانت الحكاية الشرقية تمارس ذلك بالفطرة. التحليل: في «ألف ليلة وليلة»، لا نقتصر على الاستماع لصوت شهرزاد فحسب، بل نسمع أصوات الملوك، والصعاليك، والجواري، وحتى الحيوانات. لكل شخصية لغتها ومنظورها الخاص، وهو ما انتقل لاحقاً إلى الرواية الحديثة التي تخلت عن «الراوي الكلي العلم» لصالح تعدد وجهات النظر. يرى الناقد الفرنسي تزيفتان تودوروف أن

«الحكاية الشرقية سرد لا نهائي؛ لأن كل شخصية فيها تصبح بدورها راوياً». وهذا التحول هو جوهر الديمقراطية السردية في الرواية المعاصرة.

3. الخيال الرمزي والعجائبي (الفانتازيا كأداة معرفية):

لم يكن الخيال في الأدب الشرقي للترفيه فحسب، بل كان وسيلة للتعبير عما لا يُقال في الواقع السياسي أو الاجتماعي. التحليل: مثّل استخدام الجن، والبساط الطائر، والتحولات المسخية إرهاصاً مبكراً لما يُعرف اليوم بـ «الواقعية السحرية»؛ إذ علّم الشرقُ الغربَ أن الواقع لا يمكن استيعابه إلا بإضافة جرعة من الخيال إليه. دعم نقدي: يؤكد المستشرق البريطاني إدوارد سعيد في كتابه «الاستشراق» أن الخيال الشرقي قدم لأوروبا «بديلاً جمالياً» مكنها من...

الخيال العجائبي:

لم يقتصر الخيال في الأدب الشرقي على كونه وسيلة للترفيه فحسب، بل اتخذ أداة رمزية للتعبير عن المضامين المسكوت عنها؛ فالجن، والتحولات، والرحلات العجائبية، ليست سوى تجليات رمزية لقوى خفية تضبط إيقاع الواقع، سواء تمثلت في السلطة السياسية، أو القلق الوجودي، أو الرغبات المكبوتة. وقد مهّد هذا التوظيف للخيال الطريق أمام تيارات أدبية لاحقة، كالواقعية السحرية في أعمال غابرييل غارسيا ماركيز، حيث يمتزج الواقعي بالعجائبي في نسيج واحد. من جهة أخرى، يرى إدوارد سعيد أن الخيال الشرقي وفّر لأوروبا بديلاً جمالياً مكّنها من تخطي نزعتها العقلانية الصارمة، وإن ظل هذا التفاعل محفوفاً باختلالات في التمثيل والتأويل.

أثر الحكاية الشرقية في الرواية الأوروبية:

لا يمكن استعراض نشأة الرواية الأوروبية دون التوقف عند أثر السرد الشرقي، الذي لم يقف عند حدود المضمون فحسب، بل امتد ليشمل البنية والرؤية. ففي كتاب "ديكاميرون" لجيوفاني بوكاتشيو، يتردد صدى واضح لبنية الحكايات المتسلسلة؛ إذ يلجأ الأبطال إلى السرد كوسيلة للنجاة من الطاعون، في محاكاة رمزية لحكايات شهرزاد. أما رواية "دون كيخوته" لميغيل دي ثيربانتس، فقد تشبّعت بروح المغامرة الشرقية ومزجت بين الواقع والخيال بأسلوب غير مسبوق، مما جعلها تُصنّف كأول رواية حديثة.

في عصر الأنوار، وظّف مونتسكيو في كتابه «رسائل فارسية» تقنية «المنظور الشرقي» لنقد المجتمع الأوروبي، مما يبرز أن الشرق لم يكن مجرد مصدر إلهام، بل أداةً نقدية وظّفها الفكر الغربي ذاته. أما عن السرد بوصفه فعلاً مقاوماً، فإذا كانت شهرزاد تحكي لتؤجل موتها، فإن الرواية الحديثة تكتب لتقاوم أشكالاً أخرى من الفناء: فناء المعنى والذاكرة، واندثار الإنسان في عالم متحوّل. ومن هذا المنظور، يغدو السرد فعلاً وجودياً ومقاومة رمزية للعدم.

وفي هذا السياق، يرى جابر عصفور أن الرواية العربية الحديثة ليست مجرد نتاج للتأثر بالغرب، بل هي استعادة لوعي سردي قديم، أعادت الرواية الغربية صياغة أدواته قبل أن يعود في قالب جديد إلى الثقافة العربية. خاتمة: يتضح من هذا التحليل أن التأثير الشرقي لم يكن هامشياً في تاريخ الرواية، بل كان عنصراً مؤسساً في تشكّلها؛ فالشرق لم يمدّ الرواية بالموضوعات فحسب، بل أسهم في بلورة بنيتها، وتوسيع أفقها التخييلي، وتعميق وعيها بذاتها. وبذلك، يمكن القول إن الرواية الحديثة ليست نتاجاً أوروبياً خالصاً، بل ثمرة حوار

حضاري معقّد بين الخيال الشرقي والعقل الغربي، وهو حوار لا تزال آثاره تتجلى في السرد المعاصر.